

## القبر

### 1 - هذا الصباح

الصباح : رائحة الصباح. الأجراس : أصوات الأجراس. الضوء : ألوان الضوء. العيون : أوجاع العيون. العدس، الماء، الأيدي، الوجوه : الوجوه المستطيلة. الوجوه التي تذهب بعيداً، الوجوه البعيدة أنا المستلقي، أنا أنهض، أحمل رأسي بين يدي، أفتح عيني، أرى، لأرى. صحت هذا الصباح، أنا الذي ينهض، لا ينهض، أنا لا أنهض. أمس قلت وكانت أُمي، وكانت تلك المرأة التي اسمها ما اسم تلك المرأة ؟ قلت هذه المرأة - تلك المرأة التي التقيتها، التقطتها كحجر على الرصيف، كرصيف على البحر، كبحر البحر، وكان اللون أزرق والأجراس التي تظن في أذني وصوت الموج ووجه الرجل. ما اسم الرجل الذي أخبرني ! ماذا أخبرني ؟ قال لي ثم وقف على أعلى صخرة ورمى بنفسه، قلت اتبعه وأرمي بنفسي، لم أتسلق الصخرة لكنني نظرت الى الأسفل ما وجدته في الأسفل ورميت بنفسي. علا رأسي فوق الموج الأبيض. حاولت أن أنظر فسمعت طلقات وكان مركب بعيد ورجال وجوههم تلون بالأمواج وديناميت، جسدي يرتجف أرقص والماء يركض، ثم امتلأ البحر بالاسماك. كانت الأسماك حولي وأنا احاول أن أرى، وكان السمك الميت والرائحة. ملح البحر والسمك ووجه صديقي، وجه ذلك الرجل الذي يصرخ ولم أكن أسمع صراخه. كان يقول ولم أكن أقول شيئاً. كنت أعلو لكن لا يرى، كنت أقول الاسماك وهو يركض، كان يركض كأنه يركض. ثم وقف على الصخور ورأيت قدمين عاريتين، وحاولت أن أقرب، لكن الرائحة كانت قوية. ثم حين خرجت من الماء سألتني، ماذا سألتني ؟ سألتني وكنت أرثجف من الخوف وكان يلهت ككلب خائف وكنت أهت ككلب خائف، ولم أر الكلب. الكلب الذي هجم وعضني لم أره قبل ان يهجم. الكلب الذي يهجم كان أسود لا كان أبيض ومقعاً بالأسود. لا كان رمادياً. كلب رمادي وأنا لم أره. وهو يقف. أنا لم ألاحظ أنه كان يقف أو يركض، أنا لم ألاحظ شيئاً ثم عضني. لم أشعر بالألم شعرت بوجهه. رأيت وجهاً ودما على الاستنان وصاح الناس عضه الكلب وبدأوا يركضون باتجاهي. وبدأ الكلب يركض والناس يلحقون الكلب. حجارة وصراخ وغبار. وأنا استند الى الحائط، لم يكن هناك ألم، لكنني لم أركض خلف الكلب كما فعل الجميع، ربما خفت، أنا أخاف من الكلاب، وهي التي لم أعد أذكر اسمها تخاف من الكلب. نحن نمشي، كنا نمشي، وكانت طرقات الجبل ضيقة، وصديقي الى جانبي. صديقي يضحك وينكت وينظر الى تلك الفتاة،

وأنا اتي جانبه ابتسم وأنظر اليها وهي لا تنظر، قلت إنها تحبه، يبدو أنها تحبه، وأنا لم أكن أحبها، لكن ضحكها، كيف كانت ضحكها، كانت جميلة وتلبس تنورة مني جوب قصيرة، وتضحك بصوت مرتفع وتؤشر بيديها الطويلتين عندما مر كلب من بيننا كان كلباً صغيراً وكنت على وشك اعلان خوفي. كنت على وشك الهرب عندما سقطت هي على الأرض وبدأ صوت صدرها يرتفع جلست على الأرض، وضعت يديها على ركبتيها وبدأت تلهت، وصديقي يلحق الكلب والكلب يهرب وأنا إلى جانبا ولم ألحق الكلب انخيت فوقها، لا أعلم ماذا حل بها، انخيت، مددت يدي الى الامام وبدأ رأسي يسقط، ثم فكرت ان أجلس الى جانبا وأسأله، ركعت على ركية واحدة، وضعت يداً خلف ظهرها وتركت الأخرى للسؤال، ثم رأيت يديها تلتفان حول رقبتى كأنها تزيد أن تقبلني. انخيت أكثر حتى لامس وجهي شعرها القصير الأسود حين سمعت صوت صديقي فوقنا، تركها والتفتت اليه، كان أشعث الشعر ويشبه الكلب الخائف. الكلب هرب قال صديقي ثم استدار وهو يمد لها يده. كنت أريد أن أقول لها حين رأيتها تنهض، تمسك بيده وتنهض ثم تمشي ونحن نمشي الى جانبا. أنا عن يمينها وصديقي عن يسارها، وكانت تتأيل كأنها مستسقط على الأرض. وكان صديقي خائف عليها، سألتها اذا كانت تخاف من الكلاب، قالت انبا رأيت كلباً يعض طفلاً. قلت أنا عضني الكلب، لكنها لا تنظر إلي كأنها لا تسمع. قال صديقي إن الكلاب لا تخيف هي تخاف. أنا عضني الكلب قلت له، لكني لا أعرف كيف لم أراه وهو يعضني. نظر الى الفتاة. وضع يده خلف خصرها. الكلب الذي عضني يشبه صديقي. كنت أريد أن أقول لكنني لم أقل شيئاً. وهذا الوجه، وجه تلك المرأة، لا ليست تلك التي سقطت على الأرض، ولكن أين وجهها؟ لماذا عيوني العدس فوق عيوني، كأن حبات العدس تغلق أهدائي، كأنها مسامير. أحاول أن افتح عيوني، والمسامير من أين تأتي المسامير؟ وقطرات الماء. هل يمكن ان يكون صديقي قد أغلق عيوني بالماء؟ ثم الماء لا يؤه أمني قالت إن الماء لا يؤه، وكنت أقف أمامها عارياً وهي تدلق الماء على رأسي وأنا أحاول الهرب والبخار يملأ عيوني فلا أدري، وصوت أبي من خلف الباب وهو يتوعد، وأنا كأنني أريد أن أهرب، الى أين أهرب؟ الماء لا يؤه لكنه يؤه عيوني، أحاول أن أفتحها والا لم يصعد من عيوني إلى سقف الغرفة لكني لا أرى سقف الغرفة.

صحت باكرأ هذا الصباح وكان فمي رطباً، ابتلعت ريقى ورفعت رأسي، رأسي لا يرتفع، خرجت رائحة الصباح، كان الصبح ابيض ولزجاً، وكان الضوء الذي يتسرب في أهدائي مائلاً الى السواد، ورائحة الصباح لا تشبه شيئاً، تشبه رائحة بركة محاطة بالأشواك. ما هذا الصباح؟ سألت أمني لم أسمع أي جواب. يجب أن أذهب الى العمل يجب أن أشرب القهوة، يجب أن أحلق ذقتي طالت قليلاً، وتلك الفتاة تقول ان ذقتي تترك آثاراً حمراء على خديها. يجب: نبدأ الصباح بفتح عيوننا، عندما نهض من الفراش لا قبل ان نهض نفتح عيوننا ثم نفتح النافذة ونهض. نهض وفتح النافذة ونشم رائحة الصباح، وبأني الصباح كأنه

أكوام من التراب والأطوار. قبل أن أذهب الى النافذة يحب أن أذهب الى عيوني، وجاءت الأجراس. قبل أن أفتح عيوني جاءت الأجراس، طنين الأجراس يملأ الغرفة. يملأ البيت، لماذا يقرعون الأجراس؟ هل مات أحد؟ أعرف أن لا أحد سيموت. هكذا قالت أمي، قالت هذه السنة لا موت، هلكننا من الموت! لماذا؟ الموت يستطيع أن ينتظر سنة، سنة واحدة على الأقل قالت أمي الأجراس تقترب، والأصوات تملأ الغرفة. قلت أفتح عيوني انفض، أفتح النافذة ثم أذهب الى الكنيسة وأقرع. الحبل يتدل من السماء وأنا أتسلقه، ان من يرفع الجرس، أمسك الحبل الطويل وأقرع ثم أطيّر. الحبل يحملني الى الأعلى وأنا في الأعلى والأصوات وباعة الكعك والقمية وعين السيدة وأصوات المرتلين والشماس منا وهو يركض، يلتفت يمينا وشمالاً برقبته العليظة وأصابع يديه التي تشبه ازميل النجار، يقفز الى الحبل خلفي، أنا معلق في الهواء وهو يمسكه بالحبل، أهبط وهو يعلو في الهواء. أخاف أريد أن أعود الى البيت والشماس يتدل بالحبل وهو يرقص والشباب يتفرجون. لكنني لم أفتح النافذة ولم أشم رائحة الصباح.

صحوت باكراً هذا الصباح. لم أفتح عيوني ورأيت الكلب، لم يكن كلباً، رأيت تلك الفتاة التي نسيت اسمها، لم أسألها عن اسمها، استحييت، كان سطح وليل ونجوم غملاً السماء، قالت إن النجوم جميلة وأنا لم أقل شيئاً. قلت، ماذا قلت؟ قلت لها وكانت رائحة البخور تملأ المكان، وتمتات وخشب عتيق وزيتون، اشجار الزيتون تتأيل وسط الظلام، الأشجار لا تتأيل ظلها تتأيل. ثمشي ومشيئا، كنت أشعر بخوف في أسناني، لم ترخف أسناني لكنها كانت خائفة، دخلنا الكنيسة العتيقة، شمعة واحدة مشعلة ولا أحد سوى وجوه القديسين بعيونهم الفارغة التي تنظر ولا ترى. ترى ولا تنظر، لا أعرف. كنت أريد أن أسألها اذا كانت تقبل دعوتي الى السيما، وأفكر: في السيما يطفئون الضوء. ثم تمتد يدي الى يدها ثم الى ركبتيها وستنظر الي وتطلب مني أن اتوقف، أرى عيونها الواسعة وهي تشتط في الظلام. لكنني لا أرفع يدي، وهي تبقى الى جانبي، أقبل راحة يدها ولا أنظر الى القبلم. أغمض وأغرق في ظلام يدها. لكننا الآن. الآن ندخل وهناك شمعة صغيرة بيضاء والظلال تتراقص وفستانها الأبيض الملمى بحبات الكرز الخمرية يتأيل بجسدها وهي الى جانبي. أمسكت يدها بدون ان أقول شيئاً وهي لم تتكلم. هي أيضاً كانت تشدني. وقفنا خلف عمود سميك وكان صوت لهاثنا، اقتربت منها وأمسكت بالعمود وسقطنا على الأرض برفق. الشمعة وسط وعاء ملئ بالزمل وتتحرق ببطء أمام الصورة. أخذت الشمعة في يدي واقتربت منها. اطفئي الشمعة قالت، اقتربت بالشمعة، كانت تجلس وتضم ركبتيها الى صدرها ورأيت وجهها. كان وجهها كأنه يشتعل بالضوء. اقتربت الشمعة من شعرها الكستنائي الطويل، تقلص وجهها، دورت شفيتها، ابعدت الشمعة وأزالتها الى الأرض. المنحت فوق الشمعة، الضوء يختفي، كنت راكعاً الى جانبها وهي راكعة، اعتقد أنها كانت راكعة، وكانت رائحة الخشب المترج بالبخور وأصوات بعيدة وأنا خائف كنت خائفاً كنت يردانا، فكرت أنني بحاجة الى حزام صوفي، فكرت أنها أيضاً

تشعر بالبرد، اقتربت وكانت تقول لا، لماذا تقول المرأة لا ؟ ولماذا اقترب حين تقول لا ؟ كانت تقول لا وأشياء أخرى لم أسمعها جيداً، وكان الهواء ثقيلًا فوقنا، ثقيل وبارد ولا يتحرك، ثوبها تحت يدي، يدي على وجهها وجهها في صدري. ثم انتفضت الى الورا، كنت أريد أن أنتفض لكنها سبقتي، ومعنا أصواتاً، حاولت أن أنفض، لكنها تشدني من يدي إلى الأسفل، ثم قالت لا أحد الخشب العتيق يتشقق قلت لها.

نهضت، نفضت الغبار عن فستانها. كنت أريد أن أبدأ من جديد، لكنها نهضت، أخذت الشمعة وذهبت الى الأيقونة، وهي بقيت واقفة الى جانب العمود تنتظرني. وصلت الى الأيقونة، ورممت إشارة الصليب، اشعلت الشمعة فرأيت وجهي في عيون الأيقونة. خرجت وانتظرتها على باب الكنيسة قالت إنها ستبني، وانتظرتُ لكنها لم تخرج. أين هي ؟ قلت أدخل لأرى، لكنني انتظرت. أنا أقف أمام الباب وألح الظلال. كانت ظلالهم طويلة، يمشون أو يجلسون على الأرض، وأنا انتظرها وهي لا تخرج، ربما تصلي، دخلت لم أجد أحداً. الشمعة في مكانها، والكاهن يقف أمام باب الهيكل، حيائي برأسه وأكمل تمتماته.

خرجت من الكنيسة ومشيت باتجاه الساحة حيث الظلال. رأيت رجلاً سألني، ماذا سألني ؟ لا أنا الذي سأل وسألته عنها. وقفت وحيداً حين سمعت ضحكها وكانت تجلس معهم على زاوية السطح وحوها شباب وقتيات والكاهن يتكئ على عمود ويستمع اليهم. سألتها اذا كانت تسمع وسمعت أصوات تراتيل بعيدة قادمة من الكنيسة، ورأيت كلباً، كان الكلب أسود، الكلب يقترب، هي تضع يدها على رأسه، الكلب ينحني أمامها مستسلماً وراعياً في المزيد. قلت لهم إنني أخاف من الكلب، قلت لهم إن الكلب عض تلك الفتاة التي سقطت على الأرض وإن صديقي لحقه. أخبرتهم وكانوا كأنهم لا يسمعون. لماذا لا تسمعوت الى قصة الكلب ؟

أذكر أنني حين ركعت قبلت السرّة، وأذكر أنها قالت لي لم تعد تستطيع، ولم أفهم كنت منحنيا، كانت عيوني نصف مفتوحة وهي تقول ولم أفهم ماذا يعني أنها لم تعد تستطيع وها أنا أقف خارج الباب وأنتظرها وهي لا تأتي. لماذا تقف هكذا طويلاً أمام الشمعة، أعود فأراها تمسك بالشمعة البيضاء وتغرسها في الرمل وتتمتم. انتظر وهي لا تخرج ثم أذهب وأقول لهم انني اريد ان أنام. وأنا نائم، أنا في سريري والغطاء فوق رأسي انقلب فأسمع صوت أمي، أنا لا أريد أمي، أريد تلك المرأة التي نسيت اسمها. كيف انسى اسمها ؟ وهي، هل نسيت اسمي ؟ لا أذكر انني قلت لها ما هو اسمي، لكنها عرفنتني وكانت تتأدبني باسمي، ولكني الآن، الآن فقط لا أذكر فلافتح عيوني، عندما افتح عيوني سأذكر اسمها ولا بد وأن أقول لها.

ولكن لماذا هذه الأصوات ؟ أنا قلت لأمي انني لا أريد أصواتاً في الصباح، لا لم أقل لها هذا، خفت أن ترعل فلترعل. وماذا يعني اذا زعلت ؟ لكنني لم أقل لها شيئاً، قلت لها فقط إن عيوني تؤلني، منذ عشرين سنة وعيوني تؤلني، وأنا أقول لها إن عيوني تؤلني. أنا

متأكد أنها لم تعد تسمع ما أقوله لها. عندما أبدأ يعيوني أرى وجهها وهو يستدير كأنها لا تريد أن تسمع، والآن أريد أن أقول لها الشيء نفسه وهي لا تسمعني، كيف تسمعني، كيف تسمعني، كيف تسمعني وسط هذا الضجيج. من أين يجلبون كل هذا الضجيج في الصباح، لماذا يصرخون ويتهايمسون ويدخلون ويخرجون. وأنا معهم، أقول لهم لكنني لا أقول.

لو وافقت هي، جاءت في الصباح وكنت في البيت وحيداً، وعندما عرفت أنني وحدي بدأ صوتها يرتجف. هذا يعني أنها موافقة، وإن كنت موافقاً، لكن الحقيقة، أين هي الحقيقة، جلست بهدوء في الصالون، وضعت قدماً فوق قدم، وأنزلت التنورة حتى لا أرى ثنية الركبة، كنت أفضل ان أحلق ذقتي قبل أن تأتي، لكنها أتت. لم أعرف ماذا أقول لها، تكلمنا عن المصحة والطقس وسألنا إذا كانت تشرب قهوة.

— أنا اعددها، قالت.

— لا أنا.

ذهيت، أعددت القهوة وعدت بها الى الصالون، وكانت ما تزال جالسة، جلست الى جانبها، فبدأ جسدها وكأنه يرتعش. وأنا أريد، كنت أريد، لكنني لا أعرف، الحقيقة انني لم أكن أريد شيئاً وهي كذلك، وإلا لثنا على الكنايه في الصالون، لكنها بقيت جالسة وبقيت جالساً. ثم ذهبت، وبعد أن ذهبت قلت عيب، كانت ترتجف، هذا يعني أنها تريد، وأنا أريد، لماذا تركتها تذهب. أعتقد أنني خفت فذقتي كانت طويلة قليلاً، ورائحة القهوة ادخلت النعاس في عيوني وعيوني تؤلني.

لماذا لا يضيئون الضوء؟

أضيئوا الضوء على الأقل، أردت أن أصرخ بهم، لماذا لا يسمعون، أردت أن انهض من الفراش، لكنني لا افتح عيوني. وهذا العدس، وهذا العدس، اسم رائحة العدس المسلوقة، وهم يخلطونه بالبصل، ورائحت النار، البصل يحترق أوقفوا النار وتعالوا لتأكل. العدس جاهز ولكنهم لا يريدون. أنا جائع، قلت انني جائع وأغمضت عيوني، رموشي تكاد تنزلق الى داخل المحجرين، أرى الدوائر، دوائر سوداء، تنحل في اللون الأبيض. وسط الدائرة أبيض لكنها سوداء، ثم انكسرت الدائرة الى نصفين، ورأيت الباب، هذا هو الباب فلأخرج. خرجت، كان الباب مفتوحاً، وبدلاً من أجد نفسي في الطريق أو في الحمام، وجدت أمامي باباً جديداً. وجدت الأبواب، كل الأبواب مفتوحة وأنا أركض، لا أحد يستطيع اللحاق بي حين أركض، ولم يلحق بي أحد. هم يعلمون أنني اسرع من الجميع لذلك لا يجرؤون، لذلك أركض وحدي والأبواب مفتوحة، جميع الأبواب مفتوحة.

هذه المرة، هذه هي المرة الأولى والأخيرة التي أريد أن أقول لكم أن تركضوا ورائي. هذه هي المرة الوحيدة التي أرى فيها الأبواب مفتوحة وأقول لكم اركضوا فتركونني وحيداً ولا تركضون

معي. حتى تلك المرأة. ما اسم تلك المرأة؟ تلك التي قالت انها ستأتي معي الى آخر الدنيا، وآلان أول الدنيا، أنا لم أصدقها حين قالت، فهي تخاف لا توجد امرأة لا تخاف من آخر الدنيا. والرجال أيضاً يخافون. وأنا أخاف. أنا خائف وهذه أول الدنيا.

في البداية، أو حين يبدأون أو حين تبدأ أو.. في البداية تفتح الأبواب ويتركونك تدخل، وأنت تدخل تكون في البداية والزمن معك، لا تتردد لأن الزمن معك، هم يغلزون الأبواب خلفك، وأنا أعرف، أعرف أنهم سيغلزونها لكنني أدخل، حتى لو عرفت فإن هذا لن يغير شيئاً، ادخل.

لا أعرف عن ماذا أحكي، لا أحد يستمع إليّ، لا أحد، اذن لا أحكي، لكنني أرى الأبواب المفتوحة. الحقيقي صرحت لك أن تلحقيني، وأنت تقفين. أنا لا أقصد هذه، أقصد امرأة أخرى. ولكن أقبل وهي لا تقبل أنا مستعد أن اوافق على كل شيء ولكن المرأة الأخرى تشبه المرأة التي حدثتكم عنها، انها تشبهها اختي تشبه أمي، وأمي تشبه أمه، وأمها تشبه أمها، وأنا اشبه الجميع وأركض.

والأجراس؟ من أين الأجراس؟ لماذا ترقعون؟ وهذا الوجه، لماذا ينحني هذا الرجل فوق، رائحة فمه، ما هذه الرائحة التي تخرج من أسنانه؟ يريد أن يقبلني. أنا لا أحب أن يقبلني هذا الرجل، أخاف أن يعضني، أخاف من الكلب عضني في فخذي، ووضعوا الابر في بطني وانتبهنا.

## مشاهدات

### الظلال

المكان : شاطئ البحر.

الزمان : بيروت.

الأبطال : لا يوجد.

ولكن هناك رجل واحد يدعى عادل. رجل في الثلاثين، بعض الشيب الذي يتسلل الى الرأس، عيناه زائعتان كأنهما لا تريان حين تنظران، أو كأنهما لا تنظران. عادل سوف يذهب الى المقهى الذي على شاطئ البحر كي يرى الذي سيحدث. الحقيقة. أنا لم أرسله الى هناك. ركض في الصباح وقال انه ذاهب الى المقهى لانه على موعد مع سحر. قلت له انني قد أتبعه الى هناك، وتبعته. هو الآن يعتقد أنني ارسلته الى هناك ولم أتبعه، لكنني تبعته ولم يرني، عندما وصلت كان المقهى قد انتهى وعادل يجلس في غرفته الصغيرة وحيدا. ينظر الى الحيطان فلا يرى شيئاً × سحر قالت له انها لا ترى في عينيه غير الفشل الكامل، وأنها تحبه من أجل عينيه لأنهما نصف مغمضتين. عادل لم يصدقها، قال لها انها لا تحبه وذهب

الى المقهى دون أن ينتظرها. وصل. كانت الشمس تلتمع على صفحة البحر ورائحة الملح المزوج بالأعشاب ورجال يجلسون حول طاولات خشبية، وهو يمشي بين الكراسي والطاولات. توقف أمام طاولة، سلم على الرجل الجالس، وجلس الى جانبه، يذكر أنه يعرفه لكنه لا يذكر الاسم. رحب الرجل بعادل ودعاه الى شرب فنجان قهوة. جلسا يختسيان القهوة المرة بصمت. الرجل يبعث دخان سيجارته في مواجهة البحر ولا يتكلم، وعادل لا يتكلم. والأصوات تضيع في صوت البحر. كأن الناس الذين يجلسون في ذلك المقهى لا يتكلمون.

عادل ينظر الى البحر وسحر لا تريد أن تأتي، وهو يحاول أن يتكلم كي ينسى أنها قالت له عن سأمها من الفشل..

— أن مسافرة. أنت لا تقدر أن تسافر، أنت مربوط الى الموت، أنا أريد أن أذهب، أنا لا علاقة لي وهو يحاول أن يقول لها إنها تكذب، وأنه يخصها كما يخصه.

— ماذا يعني لا علاقة لك ؟

— أنا لا علاقة لي بك أو بعينوك، عينوك تزوغ، عينوك تضيع، وأنا لا أريد، لا أستطيع أن أتعمل وهو أيضاً لا يقدر أن يختل، لكن ماذا يقول لها، لن يتزوجها، ليس لانه لا يحبها، لكنه لن يتزوجها، الزواج مستحيل، وهي أيضاً، هي تقول أنها لا تريد الزواج.

— أنا لا أحب أن اتزوج، وعلى كل حال فأنا لا أحبك.

وأنا لا احبها، أنا لا أحب أحداً. يسأل عادل الرجل الذي يجلس أمامه عن النساء. ينظر الرجل الى البحر ويشير بيده، يرفع اصبعه ويشير، وأصوات الدنياميت، وزورق ملئي برجال عمرة، الزورق يهتز والموج يعلو، الرجل ينظر وعادل الى جانبه ينظر. وضع عادل علبة المارلبورو الحمراء على الطاولة، ولع سيجارة جديدة وسأل الرجل اذا كان ينتظر أحداً. طبعاً لا أجاب الرجل. وافهمه أنه لا ينتظر ولا يريد أن ينتظر، وأنه بعد هذا العمر الطويل ثم بعد يستطيع أن يضيع وقته في الانتظار، لذلك يأتي الى المقهى ويتفرج على البحر.

— الحق معك، قال عادل.

الرجل يلتفت الى عادل ويسأله نفس السؤال، اراد عادل أن يجاب كما جاب الرجل، لكنه لم يجاب، لم يكن يملك وقت الجواب، رأى الزورق ينقلب، ثم رأى رجلاً عارياً يسبح باتجاه الصخور، وقف الرجل العاري على صخرة وبدأ يصرخ ويؤثر بيديه. ولم يكن هناك أي صوت. التفت عادل الى الرجل فرأه، وكأنه لا يهتم بمشهد انقلاب الزورق، اراد أن يقول له حين رأى شيئاً غريباً على وجه الرجل، ليس وجهه بالضبط، بل خده وفكه، كأن ثمة ارتخافة غريبة تشبه صوتاً لا يستطيع الخروج من الحلق، التفت الى حيث ينظر الرجل وكان الوقت قد فات، ثم ير شيئاً، سمع طليقة رصاص، ورأى رجلاً شاهراً مسدسه يقف قرب طاولته، اعتقد أنه هو المقصود، وشعر بالبكاء، اراد أن ينهض، ثم رأى الرجل الذي يحمل المسدس ينحني على الطاولة كأنه يتفحصها، ويضع مسدسه في حزامه الجلدي ويمضي بهدوء. جميع الناس

الذين كانوا ينظرون الى البحر أو يلعبون طاولة الزهر توقفوا عن النظر واللعب، وهم الآن يحومون بعيونهم حول الطاولة. عادل ينظر اليهم مستطلعاً، وهم ينظرون اليه ولا يردون على الأسئلة المرتسمة في عينيه.

نظر عادل الى حيث ينظرون فأرى بقع الدم الحمراء التي تشبه علبه المارلبورو، ورأى يد الرجل الممدودة على الطاولة ورأسه المنحني فوقها، وبقعة حمراء في الرأس. التفت الى الناس كي يسأل، لكنهم كانوا يغادرون، يلمون أغراضهم ويغادرون المقهى بهدوء وظلالهم الطويلة تمتد على الطاولات.

عادل يقف، يفكر أن عليه أن يغادر المكان بسرعة، يشعر بحاجة ماسة الى التدخين، يبحث عن علبه على الطاولة، لا يجدها، ينحني تحت الطاولة، ويفتش، لا يجد العلبه، يضع يديه في جيوبه ويفتش. أين العلبه؟ يجلس على الكرسي ويتفحص الرجل الذي يجلس أمامه، عين نصف مغمضة والعين الثانية تفرق في اليد الممدودة العلبه تحت كوعه. يفكر عادل في افضل طريقة يأخذ بها العلبه ويمضي. أنا لا علاقة لي، هم قتلوه. هذا المسدس المصوب الى رأسي قتله، يجب أن آخذ العلبه وأمضي قبل أن يأتي البوليس ويبدأ التحقيق الذي لا ينتهي، لن يأتي أحد، ولن يحقق أحد، سوف يضيعون لنا وقتنا إذا أتوا. أريد أن أعود الى البيت وأتلفن لسحر وأقول لها انه يجب أن أراها، وسترفض في البداية كما ترفض دائماً. هي قررت أن لقاءنا لا جدوى منها ولن تقود الى نتيجة. وأنا وافقت. ما معنى النتيجة. الى أية نتيجة ستقود لقاءات مليئة بالسأم، تجلس أمامي، هي تنظر الى العابرين وأنا أنظر الى العابرين. تتبادل بعض الكلمات العامة ثم لا أعود اعرف ماذا أقول لها. عن الجنس لا طعم له، هي قالت إن الجنس لا طعم له، وأنا وافقتها والآن سأطلب منها أن نلتقي وأكرر موافقاتي التي بلا نهاية. ثم نفترق، وتقرر هي أن لا نلتقي من جديد.

انحنى عادل فوق الرجل، مد يده الى العلبه، لا أحد ينظر، لم يعد المشهد يهم احداً، حاول سحبها، الذراع ثقيل فوق علبه الدخان، يجب أن يرفع الذراع الى الأعلى قليلاً ثم يسحب العلبه. رفع الذراع يعني تغيير وضع الجثة عند حدوث الوفاة. الجثة سيتغير وضعها على أية حال. مجرد رصاصة دخلت الجمجمة وحدثت الوفاة. ثم ماذا. بعد دفن الجثة فكل شيء سيتغير، انهيارات ورماد وأشياء أخرى لا لزوم للتفكير بها حتى لا يبدأ الناس في البكاء. فالبكاء صار مرفقاً، هكذا قالت سحر، وأنا وافقتها، مشهد رجل يبكي أو امرأة تولول لا يثير غير القرف. من أين يجلبون هذه الكمية من الدموع؟ خاصة وأن علي، وهذا هو اسم ابن الفقيد، رجل ضخم الجثة عريض المنكبين يقف بهدوء ووقار ويتقبل التعازي، وحين بدأ الشيخ يتكلم عن الأعراض التي تحدث للجثة بعد دفنها، انهار عن الكرسي وبدأ يبكي كأنه امرأة، والشيخ ينظر الى دموعه ويشعر بأهمية كلامه، ويتابع مركزاً على انفجار البطن الذي يحدث

بعد الوفاة بثلاثة أيام، وعلى الدود وتحت الجسد وتعفن الكفن. والسيد على يتابع بكاءه، يهز كتفيه وينتظر كلام الشيخ كأنه لا يريد أن يتوقف، وسحر تنظر الى علي بعينين مليئتين بالاشمزاز. وحين خرجنا، بعد أن قمنا بواجب العزاء، قالت لي إن البكاء شيء مقرف ووافقها وقلت أكثر، قلت إن الحزن أيضاً هز شيء مقرف. وأن الانسان أو الحيوان الحقيقي هو الذي لا يحزن ولا يفكر ولا يتذكر. ووافقني على الرغم من أنها لا تتوقف عن رواية ذكرياتها عن موت أمها بسرطان الدم، وكيف بكت. وكيف لاحظت أن أباهما كان مهتماً منذ اللحظة الأولى التي عرف فيها بمرض الأم بتدبير عروس يتزوجها، وأنه حين تزوج قال لسحر إنه يبحث عن السترة.

المهم أنها وافقت وأن تغيير وضع الجثة لا معنى له طالما أن الجثة نفسها سوف تتغير. مد عادل يده وحاول سحب العلبه دون أن يزعج الذراع، فرأى كلباً مرقطاً يحوم حول طاولته، لمح لها، فشرع بخوق كالقشعريرة. عادل لا يخاف من الكلاب، لكن جلده تنمل دفعة واحدة، وكانت علبه المارليور مطعوجة تحت الذراع. مد يده اليسرى الى الذراع، رفعه قليلاً الى الأعلى سحب العلبه بسرعة وترك الذراع يسقط على الطاولة. وضع العلبه في جيبه وهروا خارجاً من المقهى دون أن يلتفت الى الورا. رأى على مدخل المقهى رجال الاسعاف بشياهم البيضاء يركضون باتجاه الطاولة.

أكمل عادل سيره، وصل الى كورنيش المنارة، وبدأ يتمشى. قرر أن يتمشى قليلاً قبل أن يعود الى بيته أخذ العلبه من جيبه فتحها بصعوبة ولع سيجارة مطعوجة وبدأ يمشي. توقف عند بائع بيرو، اشترى تنكة مثلجة، فتحها، وضعها على فمه وبدأ يمتص القطرات الصفراء التي يمتزج طعمها بعم التنك.

وقف على الشاطي ولاحظ أن الكورنيش فارغ على غير عادته، لم يشعر بأي خوف. لماذا أخاف؟ أنا لا أخاف. نظر الى البحر فرأى رجال الزورق المنقلب وقد أعادوه الى وضعه الطبيعي، ولاحظ حركات أحسادهم فخمّن أنهم يغنون. رفع يده وأوقف سيارة تاكسي وطلب من السائق أن يوصله الى بيت سحر.

## الحفجر

عادل يقرر.

قرر عادل أن السفر هو الحل الوحيد.

— لا يوجد حلول أخرى، قال لي، لكن السفر أفضل. البحث عن الثروة.

— إلى أين أسافر، سألني عادل.

من الطبيعي أن أقترح عليه أوروبا وفرنسا بالذات.

— أوروبا. لا، لم أعد أرى أي شيء يجذبني، هم يجذبون الينا، أما نحن فانتهدت

— أمريكا قلت له.

— لا، أمريكا بعيدة. أفضل الخليج.

الخليج العربي أو الخليج الفارسي أو لا أعرف ماذا سيسمونه بعد عشر سنوات. أنظر الى حرف الجيم الى الدائرة التي في آخره ج يجب أن تبدأ الأبجدية بالجيم. بالدائرة التي تشبه امرأة مستلقية على الرمال الحارة. والرجل كالنقطة في وسطها. أو تبدأ الأبجدية بالنقطة؟ لان العالم بدأ بالرجل ويجب أن ينتهي به. ويكون الرجل كالصفر الضائع وسط الدائرة.

— أنت تمزح يا استاذ عادل.

— أنا لست استاذاً ولا أمزح. أنا النقطة وأريد أن أذهب الى الثروة.

كان هذا الحوار هو آخر حواراتنا، وأعتقد أنه ذهب الى هناك. فأنا أعتقد أن النفط أفضل من الثمر. صنع العرب من الثمر الهاً وعندما جاعوا أكلوه. أما النفط فأنت لا تستطيع أن تأكل النفط، تعبده وتبيعه فتندفق الثروة. اعتقدت أنه ذهب الى الثروة، لكنه لم يذهب.

غادرتي عادل ومشى في الشارع، توقف أمام بائع عصير الجزر، اشرب كباية جزر قبل أن أذهب واشترى بنظولناً. وقف، كان الذكآن ضيقاً، رجال يقفون حول الآلة الكهربائية الصغيرة التي يقف خلفها الرجل يمسك الجزرة بيده ويضعها ببطء، ثم يمسك بالثانية، والعصير البرتقالي يتدفق وهو يسكب في الأكواب والناس يشربون، وعادل ينتظر دوره. ثم لمحها، كانت تنزل من اول الشارع وهي تلبس بنظولنها الأزرق وقمصها الأبيض ومعطفها الأسود وتمشي بهدوء. أشار لها بيده، تقدمت منه. انها ليست سحر، لكنه يعرفها. دعاها الى شرب كباية عصير، شربا بسرعة ومشى الى جانبها، قال لها إنه ذاهب الى شارع الحمرا ليشتري بنظولناً، مشى الى جانبه وكانت تضع يدها في جيب معطفها سألته عن الأحوال وكانت تضحك، اقتربت منه أو أعتقد أنها اقتربت منه، أمسكها من ذراعها وهما يقطعان الشارع، ثم مد يده الى جيب معطفها، تغلغت يده بين اصابعها، وأمسك يداً صغيرة ودافئة. وكانت تنظر اليه وتبتسم. مشيا طويلاً والمطر ينهمر. دعاها الى شرب فنجان قهوة، قالت إنها تفضل المشي، يده في يدها وهو يلتفت اليها ويحاول أن يتذكر اسمها، ثم لا يعلم من أين جاءت الجزرة وقال لها بحياء وصوت يتعلم انه يتذكر كل شيء، لكنه لا يذكر اسمها.

— ماذا تذكر، سألته.

— الحقيقة، أنا لا أذكر شيئاً، لكني أعرفك، اعرف كل شيء.

— ولو يا عادل، تمشي معي وتمسك يدي ولا تذكر اسمي أو أي شيء عني.

— أنا أتذكر، في العادة أتذكر، لكن الآن نسيت الاسم فقط

سحبت يدها.

— هذه يد وليست شجرة.

قال لها، أخبرها قصة العسكري، أنا مثل العسكري الذي يسقط. استندت الفتاة الى الحائط وسط حبات المطر الخفيفة واستمعت اليه.  
— أنا مثل العسكري الذي سقط على المنحدر.

كانت مجموعة من العساكر تقطع الجبل، مشوا أياماً وليالي لا تنتهي، وسط البرد ووسط الشوك ووسط الثلج، لكن الجندي المسكين ولنقل ان اسمه عادل زحطت قدمه. كان عادل ثعباناً، ورتل العساكر يمشي على حافة منحدر، زحطت رجل عادل العسكري، حاول أن يتمسك بشيء حتى لا يسقط في قعر الوادي ويموت، لكن لا يوجد شيء في المنحدر، وعادل يتدحرج بعنف. والعساكر فوق ينظرون اليه بعيون مليئة بالتعب والشفقة. ثم وجد نفسه وقد تعلق ببلانة، تمسك جيداً بكومة الشوك وبدأ يصرخ، كان يعتقد أنه يصرخ، لكن صوته خرج خافتاً وبطئاً، ولم يسمع العساكر شيئاً، أنا مثله ومثله كان يجب هل تعرفين القصة. أنت لا تعرفين شيئاً. تقول القصة ان الضابط الشجاع، يجب أن يكون الضابط شجاعاً في القصة على الأقل، فكر طويلاً في الأمر، أي فكر بسرعة وقرر أنه لا يستطيع انقاذ العسكري المتعلق بالأشواك في وسط المنحدر، فقرر أن الطريقة الوحيدة لانقاذه من هذا العذاب هي أن يطلق عليه النار. أخذ بندقيته، رأى عادل البندقية المضوبة اليه، اصابه رعب شديد ولم يفهم، وسمع دويًا ومات. لكن ياستي هذا الضابط لم يكن شجاعاً فقط. كان شجاعاً وعكرونا، فلم يفعل كما يفعل الضباط في القصص، ترك العسكري المسكين معلقاً بالأشواك ومشى، قال إنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً من أجله، وأنه سيموت على أية حال، فلماذا إضاعة رصاصة ؟ تركه ومشى. أنا مثله، مثل العسكري، ولكن انت لماذا تسحبين يدك ؟

— أنت تضحك علي، قالت الفتاة التي تلبس بنظولنا أزرق، لا تذكر اسمي وتخبرني القصص.

— أنا لا أضحك. لا والله لا أضحك، أنا اقول الحقيقة.

— حقيقة وكذب.

— طيب، لم تسألني لماذا لم يعرض الضابط. وهذه قصة ثانية. هل أخبرك قصة الضابط ؟

التفتت الفتاة الى عادل وبدأت تتراجع الى الوراء.

— أنت تضحك علي، سوف تخبرني القصص من هنا وحتى أصل معك الى الفراش

— لا والله، أنا أمشي في الشارع، أنا اريد شراء بنظولون، ولكن مع هذا سأخبرك قصة الضابط.

بدأت الفتاة تستدير، ثم ركضت كأنها تهرب من رجل يلاحقها، عادل يلحق بها وهي تركض. عادل يلهت وهي تلهت. وصل إلى جانبها.

— خالص، قالت، ماذا تريد ؟

— اسمك، قولي لي اسمك.

— لا.

— طيب، أنا سأخبرك شيئاً.

— أخيراً. أنا مستعجلة.

— أنا أعرف الى أين تركضين، انت ذاهبة الى الضابط، ولكن لو سمعت القصة كنت

عرفت ان الضابط فرط، وضعه ألن من العسكري.

ركضت وعادل لم يتبعها. تذكر عادل انه في الأساس ذاهب كي يشتري بنطلوناً، وأنه

لم يكن هناك لزوم لاجبار هذه الفتاة المسكينة بقصة العسكري، فلا هو عسكري ولا هي

تعرف الضابط، والقصة مفبركة من الأساس، لان العسكري لم يسقط، الذي سقط كان

رجلاً آخر، ولأن الضابط لم يتردد، هو الذي دفن الرجل ثم قوصه قبل أن يتمسك بالشوك.

تابع عادل سيره وحيداً. المطر يشتد والسيارات تتوقف مشلولة أمام انهار الماء،

أصوات الزمامير تعلو، توقف عادل تحت شرفة يتقي المطر، المطر لا يتوقف، تابع سيره

راكضاً ووضع يديه على رأسه، لكن اصوات الزمامير كانت تنخر أذنيه، وصل الى أمام دكان

لبيع الالبسة الجاهزة، دخل، فتح الباب الزجاجي ودخل. كان المحل هادئاً والبنطلونات معلقة

ومتدلية كأنها مربوطة بحبال، ولم يجد البائع، وقف يتفرج على أنواع الموديلات المختلفة عندما

ربتت يد على كتفيه.

— أهلاً وسهلاً.

— بنطلون شتوي، قال عادل.

— تكرم عينك.

دخل الرجل بين أكوام البنطلونات المعلقة، ثم عاد يحمل بنطلوناً أحضر.

— لا، اريده أسود.

أخذ الرجل ماسورة وضعها على خصر عادل. دخل من جديد وعاد ببنطلون أسود.

— تفضل.

بدأ عادل يخلع بنطلونه الملوث المياه كي يقيس هذ البنطلون الجديد المكوي بعناية.

البائع ينظر الى عادل وهو يفك أزرار بنطلونه وعادل يصفر. البنطلون ينحني قليلاً على

الركبتين. عادل ينحني على حذائه يخلعه، البائع يتقدم نحوه ويناوله البنطلون الجديد. يلبس

عادل البنطلون الجديد. البائع يدلّه على مرآة في طرف الدكان. عادل والبائع يتبعه. البائع

ينحني بين الفخذين ويشير الى امكانية اصلاح البنطلون لانه واسع قليلاً عند الخصر.

— لا مناسب، أنا أفضله هكذا.

البائع لا ينهض، ما يزال راکعاً على الأرض، وأنا ادور حول المرأة وأراه بوجهه النحيل وقامته الرفيعة وأصابع يديه الطويلة.

نهض البائع، لف البنطلون، دفعت الثمن وحاولت أن أخرج، لكن المطر وكنت جائعاً، سألته عن دكان قريب استطيع أن أشتري منه علبه لبن، دلني على الدكان الذي الى جانب دكانه وقال لي انني استطيع ان اشرب عنده حتى يتوقف المطر. سألته اذا كان جائعاً، قال لا. ذهبت وعدت بعلبة لبن كبيرة وشلمون، قدم لي كرسيًا، جلست، شكرته وبدأت أشرب، البائع ينظر الى علبه اللبن وإلى وأنا اشترت، اعتقدت انه جائع مثلي، سحبت الشلمون كي أقدم له العلبه لعله يريد ان يشرب قليلاً. تساقط اللبن من طرف الشلمون على فخذي، تمسحته بكفي، قال انه استطيع أن ينظفها، شكرته وقلت له انني سأبعث البنطالون الى الكواي، أكملت شرب اللبن بعد أن وقفت لاناظر الى المطر المنهمر من خلال الزجاج الى السيارات المرمية وسط الشارع، اقترب الرجل مني شعرت انه يضع يده على كتفي، التفتت، رأيتَه ينظر الى المطر.

— المطر شديد، قلت.

— بيروت، هذه هي بيروت.

لكن الرجل كان يقترب، وعادل ينتعد، عادل يقترب من الزجاج، عادل لا يفتح الباب ويخرج لان عليه ان يأخذ معطفه وبنطلونه الجديد. اندفع عادل صوب البنطلونات المعلقة، البائع يتبعه، عادل لا يقول شيئاً والبائع صامت، رأسه بين البنطلونات لكنه لا يرى رأس البائع، وشعر عادل يخوف. أنا أريد، لم يسبق ان مارسست الجنس مع رجل لا. قال عادل للبائع انه يريد ان يذهب الى بيته x — أستاذ أين أنت ؟

— أنا أتفرج على البنطلونات، جاوب عادل.

عاد عادل الى الكرسي فرأى البائع يقف خلف طاولته ويتبسم له. ليس معطفه، حمل البنطلون الجديد. شكر البائع وفتح الباب. رأى عادل الناس يركضون في الشارع، خرج ورأى نفسه يركض مع الراكضين، رأى رجلاً يمسك خنجرًا بيده ويتبعه البائع، البائع يركض والناس يركضون خلف حامل الخنجر. لماذا البائع هنا. سأل عادل، لم يجاوبه أحد، وكانوا يركضون وسط شارع الحمراء المطر، السيارات الواقفة وسط الشارع، اجراس الكنيسة القريبة وصراخ، اقترب الرجل الذي يحمل الخنجر من البائع. البائع يسقط على ركبتيه، عادل يقترب ويسمع صراخاً.

— يا أستاذ عادل، أعطني البنطلون.

الخنجر بلتمع وسط المطر، البائع يرتجف، الماء يغطيه الى كتفيه وهو راکع على الأرض وظهره يرتجف الرجل الذي يحمل الخنجر يرفع خنجره الى الأعلى، ويلتفت الى الوراء، عادل

يتراجع، يسحب سيجارة مارلبورو ويدخن. الخنجر يهوي، البائع يعوم على الماء الأحمر. عادل يقترب، البائع يعوم على بطنه والخنجر في ظهره. عادل يغطي البائع بالبنطلون الأسود. أصوات المزمار والأجراس.

عادل يدخل الى المقهى، يطلب فنجان قهوة مرة وينتظر.  
غداً سأسافر.

لا، غداً لن أسافر، السفر صعب، هؤلاء في الخليج لا يعطون فيزا بسهولة وأنا لا أحب مكيفات الهواء، ثم لن أسافر الى هناك.  
ينهض عادل، يحمل البنطلون الجديد في يده ويمشي تحت شمس داقة الى منزله، حيث سيستحم ويفرج على فيلم مصري في التلفزيون.

وهي

هي، انها هي، تمشي وانا انظر اليها، الى عينيها المعلقتين في سماء الوجه، الى الوجه. قال عادل انه يحبها، قال ذلك لأصدقائه قبل أن يقوله لها. كان يخاف من ارتعاجة جسدها النحيل. من ضحكتها، من قدميها الصغيرتين، من أصابعها المضمومة الى كفيها، قال عادل انه يحبها، وهي تنظر اليه وتتنظره، لكنه يخاف.  
— لماذا تخاف يا عادل ؟

— أنا أخاف من نظرتها، من غموضها الابيض وهي تمشي أو تطير. اسمها ايمان لكن يعقوب كان يسميها السماء الزرقاء. خيط الكحل الأزرق فوق هديبها. الدموع الزرقاء التي تخرج على الخدين.  
— جاءت السماء الزرقاء يقول يعقوب.

وأنا أقف في المطعم الجامعي وأتقدم باتجاهها. ايمان تنحني على صديقتها الجالسة أمامي وتجلس الى جانبها، كأنها لا تراه، وأنا اتقدم، العيون تلتفت الي، لا أحد يلتفت، لكنني اشعر أن العيون تنغرس في ظهري، اتقدم، اتناول كرسيًا وأجلس، احببها وأتكلم مع صديقتها التي تدعى مريم. والتفت فأرى العينين والسماء الزرقاء. × أمس فقط تذكرت اسمها، كنت قد تركته يغور في عيوني، لكنه جاء، جاء الاسم وحيداً بالألف الأولى التي تنحني على الياء وبالالف الثانية التي في الوسط، لا ليست سحر ولا أميرة ولا حنان الألف الثانية في الوسط، وهي في الوسط.

إيمان تمشي، إيمان تمشي وحيدة وسط شوارع فارغة وفستانها البرتقالي يتطاير على ركبتيها، وأنا أمشي الى جانبها، وهي تهمز رأسها، والشعر الكستنائي القصير يتطاير فوق الرأس. ولم تكن تقبل. لم يكن طموحي أن أخذها الى آخر العالم. كنت واقعياً، لم أكن ارتجف عند أول دمعة زرقاء. كنت أحاول أن أمسك يدها، احاول اقناعها أن تأتي معي الى السينما، وهي ترفض، لا تعطي الاسباب ولا تناقش. همز رأسها الى الاعلى فافهم ان النقاش بلا جدوى. لا

أناقش. أطلب اليها أن تأتي الى المظاهرة. يومها كنا ننظـهر كل يوم. يومها كنا نـلملـم أننا سنـحمل الأرض على حناجرنا التي نـجرحها الـهتافات وعند الحديث عن المظاهرات كان صوتها يرتـعش، تدخله ارتعاشة الخوف ولا تجاوب. ثم ضيـعها كما يضيـع كل شيء، كما يضيـع الرجل وسط صراخ النساء الباقيات على جثته.

ضاعت ايمان. طبعاً ذهبنا الى السينما، وافقت وجاءت هي وشقيقتها لميا. عند مدخل السينما فوجئت، كنت اعتقد أني سأحتلي بيدها في الداخل وسط الظلام. لكنها هنا وأختها الى جانبها. ندخل، تجلس هي الى جانبي وشقيقتها الى جانبها. الأضواء تنطفئ. الشاشة تلمع باللغة الانجليزية، الأبطال يتحاورون وأنا أمد يدي وأنتظر يدها، ويدها لا تأتي، همست في أذنها طالباً اليد، وهي تضع يدها في جيب كتفتها الصوفية ولا ترد. مدت يدي، أخذت يدها بعنف. نظرت ايمان وباتجاه أختها، حاولت سحب يدها. امسكت جيداً، لكنه الخوف، او خوفها او خوف الابطال داخل الشاشة، لم أعد أذكر. كان العرق يملأ يدينا المشبوكتين كأنهما في فرن، ولم أشعر بشيء. لزوجة وعرق ساخن ومحاولات لا تنتهي لسحب يدها. وأنا احاول أن اتمسك باليد، ثم أجد أن لا فائدة. أتركها ولا أرى الفيلم سوى موت البطل ×

كانت هذه هي المرة الوحيدة التي ذهبنا فيها الى السينما. ومن يومها صارت ترفض أية امكانية لبحث المسألة، ثم ضاعت، لا، قبل أن تضيـع أخذتها الى إحدى تلك المظاهرات التي كانت تنتهي بإحراق دواليب الكاوتشوك وحصص البوليس والجيش، هي التي جاءت وقالت لي انها ستأتي معي وذهبتا أذكر أنها كانت الى جانبي، اذكرها وهي تـتمسك بذراعي، اذكر انها خافت كثيراً، ولا أعرف ماذا حصل بعد ذلك، اختلطنا برجال الجيش وافلقت من يدي، وبدأ الدم يلوث الطريق، ولم أرها إلا بعد ثلاثة أيام، وكان كل شيء قد صار مختلفاً. حتى هذا الرمادي الفاتح في عينيها صار غامضاً، والخيط الأزرق فوق الهديين صار سميكاً، ولم أر دموعها كي أعرف ماذا تغير في ذلك الأزرق الذي ينحدر على الخدين، حتى فستانها البرتقالي الذي يطير فوق الركبتين صار نياليا ولا يطير، وتكلمت معي كما كنا نتكلم كل يوم، ولعبنا كرة الطاولة وغلبتني كما كانت تفعل دائماً، لكن نظرتها إلي والى الآخرين صارت مختلفة.

لم أعد أفهم، قلت لصديقي.

قال يعقوب، ويعقوب هو الوحيد الذي كان يعرف كل شيء، وأنا الى الآن، رغم أني لم ألتق به منذ سنوات، ما أزال أعتقد أنه الوحيد الذي يعرف، قال ان المذنب هو أنا، وانه ما كان يجب كل شيء، وانه يعتقد ان السماء الزرقاء ستبسط الى الأرض وتتزوج رجلاً، والرجل يعني شخصاً مختلفاً عني، فأنا لا أصلح، قال يعقوب.

لم تقل لي انها ستتزوج. لم تقل شيئاً، حتى الدموع لم تتساقط من عينيها، قالت انها ستسافر، لا أعلم اذا كانت قد سافرت، سحر قالت لي انها التقت بها في باريس، لكنها

تزوجت، أنا أعرف زوجها، الجميع قالوا انه يشبهني، وأنا لا اعتقد أني قبيح الى هذه الدرجة، لكنهم يقولون انه ناجح ويستغل استاذاً في الجامعة، وأنا ماذا ؟ أنا ؟ الحق مع الجميع، أنا لا شيء.

ولكن، لماذا يتصرف زوجها بهذه الطريقة ؟

أنا لم أكن أقوى أن التقى به، هو أراد ذلك. هو الذي اتصل ورتب موعداً في المقهى، وجاء لابساً بذلة أنيقة وكراوات تميل الى السواد وجلس. طلب كأساً من الكونياك، وبدأ يقرب الكأس من أنفه يشمه، ثم يشرب ويتكلم.

— قال إنه يبحث عني طويلاً ليخبرني ماذا جرى وكيف.

— قلت له انني لا أريد أن أعرف. اسمع يا أستاذ، اسمع جيداً، أنا لا أريد ان أعرف

شيئاً.

— ولكنني سأخبرك، قال الزوج

— المسألة انتهت منذ زمن بعيد، ولا افهم لماذا تريد أن تفتح هذه الصفحة من جديد

— قال انه رجل متحضر، فوافقته.

قال انه لم يرزل مني، وانه تزوجها على الرغم من معرفته بعلاقتها بي.

قال انه الآن أب وعنده ثلاثة اولاد

سألني عن اولادي

قلت له انني لم اتزوج، ولا اولاد عندي

هز رأسه

— ولو يا أستاذ عادل، لماذا لم تتزوج، الزواج هو الحل الوحيد

قلت له انه الحظ وابدت اعجابي بزواجه الناجح

اخذ جرعة من كأسه

— ولكنني لم اخبرك

— اخبرتني، قلت له

— ولكنك لم تسألني كيف ماتت.

أنا سمعت انها ماتت ولم أصدق، أو لم افكر في الموضوع، هي لم تمت أنا متأكد، ربما

نامت لكنها لم تمت، أنا رايتها تمشي وحدها في شوارع مقفرة، تحمل صرة على ظهرها وتقول انها

تبحث عني، وأنا لا أريد ان اعقد المسألة، وفضل ان ابقى معها في السينما، لكن هذا الرجل

الجالس أمامي، يتابع وضع أنفه في كأسه يصر على اخباري ويروي.

انت تعرف، كلكم تعرفون، هي أصيبت بذلك المرض، جاء هكذا ودون مقدمات،

شلل في اليدين وارتماء في الفك وعدم قدرة على فتح العينين، اخذتها الى جميع الاطباء، ثم

صارت ترفض أن تأتي انت تعرف كم أحبها، جاء جميع الاطباء الى البيت، وانت تعرف، في

هذه الاحوال كم يكلف الطبيب خاصة اذا جاء الى البيت، ثم اضطررنا الى ترك البيت، أيام صعبة وثلاثة أطفال وأمي وهي. وفي اللحظة الاخيرة رفضت، تمسكت بالكنايا وبدأت تبكي، لم افهم منها سوى انها لا تريد ان تذهب، تريد ان تبقى ماذا افعل، هل اجبرها على المحي، انا في حياتي لم استخدم العنف معها، وهي التي تقرر، كل هذا الوقت منذ زواجنا وهي التي تقرر. أمي نصحتني بأخذها غصبا عنها، انا رفضت، تركتها بعد ان ملأت البيت بالمعلبات ومشينا، تركتها انا اعرف ان هذا خطأ، ولكن ان اجبرها واستعمل العنف معها خطأ أكبر أنا أعرفها وأنت تعرفها، القوة خطأ. انت توافق معي، طبعاً توافق. أنت تعرف وعندما رجعنا الى البيت بعد شهر رأينا، لم نر شيئاً، الجيران قالوا انهم دفنوها. ذهبنا الى المقبرة وزرناها، اين هو الخطأ؟ دلق الزوج كأسه على الطاولة، فتساقطت قطرات الكونياك على ثيابي الخنث كمي أمسحها بالفوطة، امكسني من قميصي، ونظر اليّ بعينين حمراوين.

— اسمع يا عادل، أنا اعرف انك تبحث عني لأنك تعتقد انني القاتل، أنا لم اقلها، أنا حزنت عليها لكن ماذا أفعل ؟

عادل بسمع الى هذا الرجل الخليف الذي يلبس الكرافات ويشعر بوجع قاتل في معدته، لم يتحرك من مكانه، كان يستمع كأنه لا يستمع، الزوج يسكت وعادل يسكت، ثم بعد صمت دام حوالي ربع ساعة كانت فيها عيون الرجلين تنتقل بين سيقان النساء الماشيات في شارع الحمرا. سأل عادل

— ولكن ما هي قصة الكلب ؟

أي كلب ؟ لا يأستاذ عادل، الكلب غير موجود، هذه اشاعة، وانت ايضا صدقت الاشاعة أنا لم ار الكلب، الجيران قالوا انها ماتت ميتة طبيعية، وانا صدقتهم، اعتقد انها كانت تعرف انها ستموت، لذلك فضلت ان تبقى وتموت في بيتها.

ولكن الكلب، قال عادل، الكلب الذي جاء وعضها، والرجل الذي اطلق عليها النار — هذا كذب

— الكذب هو الحقيقة، انت تكذب، وأنا لم اسألك شيئاً، لماذا تدافع عن نفسك، انت الزوج ولسنت الكلب، المشكلة هي الكلب، قالوا لي

— من قال لك، سأل الزوج بعصية

— قالوا لي انها كانت ترحف على الارض، قالوا انها وقعت على الارض، وزحفت بجنا عن الماء، وجاء الكلب، عضها وصار يعوي، ثم تحول العواء الى ما يشبه البكاء. جاء الجيران، رأوا كلباً مليئاً بالغبار، رأوا الكلب ولم يروا المرأة، وكان الكلب هائجا منهم عليهم، احدهم سحب مسدسه واطلق النار أطلق النار فقتلها، ثم اطلق فقتل الكلب. قتل المرأة دون

أن يعرف. ثم عندما عرف، اخذوها الى المقبرة، وجاء الخوري فضلى ودفنوها. وقال الخوري  
ووقع ورقة تقول انها ماتت ميتة طبيعية، لماذا قتلها، سألته

— انا لم اقلتها، ثم انت لا تفهم شيئا، وهذه القصة كذب، انا احبها، هل يقتل الرجل  
المرأة التي يحبها، هي ماتت  
— طبعا ماتت

وقف عادل، الزوج يقف، عادل يمد يده ويصافح الزوج

— العوض بسلامتك يقول عادل

— تعيش، بجواب الزوج

— هذا مصير كل حي

— الحمد لله، الله أعطى والله أخذ، يقول الزوج، لكنني اريد ان اخبرك كيف ماتت

— لا اريد ان اعرف، يقول عادل

الزوج ينصرف، وعادل لا يريد أن يعرف

يخرج عادل الى الشارع ويمشي، عادل يرى، انه يرى، عادل يراها، وهي نفسها، تلبس  
فستانها البرتقالي الذي يرفرف على ركبتيها وتمشي بهدوء، تنظر الى الارض كأنها تقيس حجم  
خطواتها، وعادل يخلق بها، يناديها، وهي تمشي كأنها لا تسمع، عادل يركض خلفها، يصل

— انت، أنت ايمان

يرى عيوننا أخرى ووجهها آخر، يرى ايمانا اخرى، يعتذر، ويمشي وحيدا، ويقدر أن لا  
يزور أمه بعد الآن.

### الجبل

ركض الاطفال، جميع الذين ركضوا كانوا يركضون، وهو ايضا، كان عادل يركض  
والرجال يركضون والبنادق في الايدي، الايدي مرفوعة إلى الاعلى، الاعلى هو اعلى التلة أو  
الجبل، والجبل بعيد، الجبل مربوط الى جبل يتدلى، وكل شيء كان يتعدى، وهم يركضون.

قال عادل

انا اركض، كنت في وسطهم واركض، كنت امامهم واركض، ثم سقطت البوظة من  
يدي، كنت أحمل البوظة في يدي واركض، ثم سقطت يدي، أحدهم دفشني، الولد الذي  
كان يركض الى جانبي دفشني وسقطت البوظة، داستها الاقدام، جلست وسط الملعب  
ابكي جاءت الراهبة وسألتني لماذا ابكي، استحييت ان اقول لها انتي ابكي، قلت اني لا  
ابكي ركضت. الاطفال يركضون، وأنا رأيت الجميع، ولانني احبهم، لانني اخاف ان يقولوا

انتي لا أركض، لأنني أريد ان أكون معهم، لأنني احبهم، لأنني اخاف ان يجوبني، ركضت  
ولم اشعر بالتعب

كنت اليس بنظولنا قصيرا واحمل البوطة بيدي، كنت البس بنظولنا كاكيا واحمل  
البارودة بيدي، كنت اريد أن لا اسقط، كنت اخاف ان يدفشني أحد، لذلك دفشته،  
سقط، ولم التفت اليه وركضت وركضت وارتفعت ضحكاتي الى الاعلى، ارتفعت اصواتنا الى  
الاعلى، والثلة كانت عالية، التلة العالية، لكنهم جاءوا. جاء رجل يحمل كاشة حديدية  
واجبرني على الجلوس، اجبرني على فتح فمي، ادخل الكماشة في فمي وبدأ يقتلع أسناني،  
بدأت ارتجف، الكرسي يرتجف، الكماشة في يده ترتجف، قفزت وركضت، ركضت، ركضت  
لأن طعم الكماشة في فمي كان مليئا بالصدأ

هل تذكرون، سألني عادل اذا كنت اذكر

قلت انني لا اعرف عن اي شيء تريدني ان اذكر

قال. الذكريات، لأنسي، ربما نسيت انت أما انا فلا أنسى

قال عادل انه لا ينسى، تلك المرأة التي اسمها جنان، وهي تحمل دلو الشوكولاته  
الساخن في يدها وظهرا ينكسر، ورائحة الشوكولاته القاتلة، ووكيل المعمل في الممر، الوكيل  
الذي يقترب ويضاجعها ثم يضربها لانها لا تشتغل، قال عادل انه يجب قتل الوكيل، يجب منع  
الشوكولات، يجب الا ننسى الشوكولاته.

هل نذكر قال عادل، انت لا تذكر، وانا لا أنسى، هل تذكر كيف حملت السلم  
واجبرني على الركض ثم اجبرني على التسلق، ثم اجبرني على السقوط، لذلك أريد، لا اريد، لن  
اقبل ان يدعسني أحد لن أقبل، وركضنا.

قال عادل :

كنت اقف بينهم واركض، كنت معهم وأرقص، كنا دائرة صغيرة، ثم جاء الاولاد، لا  
اعلم من اين كانوا يتدفقون بايديهم الملوثة بالخير الاسود، وصرنا نرقص، نغني ونرقص.  
— لماذا لا تغنون يا شباب، قال ابو ربيع، تخافون من الموت، لكنكم لن تموتوا، لا أحد  
سيموت غنوا ولا تخافوا.

وبدأنا نغني

— اصواتكم حزينة، نحن لا نحزن

علت اصواتنا وكان الثلج يتساقط ونحن نركض، الثلج الابيض فوق معاطفنا الزرقاء  
وايدينا المرفوعة الى الاعلى تصبح زرقاء، ونحن نغني، وابو ربيع الذي مات هناك، ولم يكر.  
يعرف انه اول من سيموت، كان يقودنا في الركض والغناء

قال عادل

أنا لم أر شيئا، لم اخلع بنظولني حين قالت الراهبة الى النوم، قلت لها انني لا اريد ان أنام، لا، الحقيقة انني قلت لها انني لا أستطيع ان انام لأن اسناني تؤلمني، اعطتني حبة اسبرين وقالت الآن ستنام، لكنني لم انم، اغمضت عيوني، شديتها، انتقل الالم من اسناني الى عيوني حاولت ان انهض واذهب اليها واقول ان اسناني لا تؤلمني، انها العيون، الوجع في عيوني لكنني لم أنهض ولم اقل لها شيئا ولم اغمض عيوني.

قال عادل

وعندما صوتت باتجاه الهدف، اغمضت عيني اليسرى واطلقت

— انت فاشل في التصويب، قال المدرب

لكنني صوتت وقتلته، انا الذي وقتلته، لم يصدقني احد حين قلت لهم انني قتلتها، كانوا مقتنعين اني لا اعرف التصويب، لكنهم لا يعرفون، التصويب شيء والفشل شيء آخر الرصاصة تعرف الهدف وحدها، الرصاصة تطير وتدخل في الرأس أو في الصدر، وهو يموت، انا الذي قتلت، لكنهم لا يصدقونني، طيب طيب، قولوا لي من اين يأتي الموتي، هؤلاء الموتي الذين يتدحرجون كأنهم حجارة أو كأنهم رمل يتساقط من الحجارة الرملية السميكه، هؤلاء من قتلهم

قال عادل : انا الذي قتل. انا قتلت الجميع. لم يصدقه أحد، قال ان بارودته هي التي أطلقت وقتلت، ولم يصدقه، أما هو فصدقه، صدق الذين قالوا انهم ماتوا، وصدق الذين قالوا انهم قتلوا، صدق الجميع ولم يصدقه أحد..

— لماذا لا يصدقونك يا عادل ؟

اخبرتها. قال. اخبرت الراهبة انني لم اضرب الولد ولم ادفشه، هو وقع على الارض وبدأ الدم ينزف من انفه، لكنها لم تصدقني، اخذتني الى قبو الجرازين، قالت انها ستدهن اذني باللبن وترميني في القبو المظلم، لكنني قلت لها، لم ابك، قلت لها دون ان ابكي، لكنها لا تصدق، حتى تصدقك الراهبة يجب ان تبكي، وحتى تبكي يجب ان ترى الراهبة، لكنني لم ابك فاخذتني الى القبو ولم تدهن اذني باللبن ولكن الجرازين لم تأت، انتظرتها وكنت خائفا، لكنها لم تأت.

وهم ايضا انتظرتهم ولم ياتوا، كانوا يقصفون، مطر من قذائف المدفعية، قال المسؤول ان هذا يعني أنهم يستعدون للهجوم، وانتظرنا لكنهم لم يهجموا ونحن ايضا لم نهجم، نحن انتظرناهم وهو انتظرونا ولم يهجم احد.

ركض الرجال، جميع الذين ركضوا كانوا يركضون، وهو أيضا، كان عادل يركض، البنادق في الايدي، والايدي مرفوعة الى الاعلى والتلة عالية

كنت اليس بنظولنا قصيرا. قال عادل

وكأن يروى

روى عن الثمر الأبيض، ثم ككل الثمر لكنه أبيض، وجهه أبيض، اقدامه بيضاء، جسد أبيض يركض على عشب أبيض، ولا يأكل غير العشب، حيوانات الغابة تخضع له، حتى الأسود تخضع له وهو يرقص والحيوانات ترقص، ثم يهجم الثمر الأبيض وأنا اهجم معه وهو يجنني، أكيد يجنني وأنا احبه، يهجم وأنا اهجم معه ونكسر كل شيء، حين يتعب وأنا اتعب، ينام الى جانبي في السرير، لا يأكلني، كيف يأكلني، فهو يجنني.

روى عن الحوت. الحوت الاحضر الذي يسبح في مياه زرقاء، يرفع رأسه الى الاعلى فنرى جسمه ثم ينحني ويفوص والمياه الزرقاء تمشوج

روي عن البيغاء. البيغاء برشيه الاحمر والاصفر الذي يردد اسمي ويقول أهلا وسهلا، يقف على كتفي ويطيير وأنا اطيير معه

روي عن الكلب . الكلب الصغير الذي ينام ويعوي ويفقرز على الحيطان ويتسلق الاشجار وينام بين قدمي.

ويروي. هم يستمعون اليه وهو يروي، يضحكون وينظرون الى بعضهم، بعضهم ينظر الى الساعات التي في ايديهم، وهو يروي، ثم رفع رجل بارودته، الجميع حملوا بواريدهم، انا حملت بارودتي وأطلقنا النار، وهو يموت، يترنج على الأرض، يقفز كأنه يكاد يطير ثم يموت، ويصبح شكله كالخروف المذبوح، كنا نطلق النار ونضحك، لا لم نكن نضحك، هو قال اننا كنا نضحك، لكننا لم نضحك، لماذا قال ذلك ؟ لا أعرف، لكنه كان على وشك الموت والحروف امامنا، كانت الجثت تملأ التلة العالية وكنا نراها كأننا لا نراها، لم نكن نستطيع سحبا، لم اكن قادرا. كانت اوجاع مفاصلي تحترق كأنني أصبت بطعنات السكاكين، وبدأنا نبيكي، جميعنا نبيكي، وصلنا الى البيوت المخلقة المهدمة التي هجرها اصحابها وقفنا على اعلى التلة وبكيننا، وهو قبل ان يموت كان يركض، لكنه الآن لا يقف ولا يبكي.

قال عادل

لا أفهم لماذا يبكي الرجال، اقتربت منهم وسألهم

— نبيكي قتلانا، ألا ترى الجثت، قال احدهم

— ولكن نحن الذين قتلنا، الذي يقتل لا يبكي

— وقف رجل من بينهم، امسكني من كتفي وقال :

— نحن لم نقتل، رأينا مرميا وطلبنا منك ان تساعدنا على حمله، لماذا لا تساعدنا؟

اسمعوا. صرخت، اسمعوا، ولم يكن أحد يسمع

تقدم مني رجل اعرفه، انه يشبه ابي لكنه اكثر شبابا منه، امسكني من كتفي، مد

الرجل يده وأخذ عادل من كتفه وقال له

— اسمع يا عادل، الدموع تغسل ثيابنا، الدموع تغسل عيوننا، وتصبح العيون اكثر جمالا، نحن لا دخل لنا، نحن فقط

قال عادل انه يفهم، طلب منه الرجل ان يبكي. لم يبك عادل

— الموتى لا يكون قال

— الموتى ماتوا قال الرجل الذي يشبه أبي

— ونحن. نحن الابرياء. قال نحن نرى ونحاول ان نغسل هذه الطرقات

انتم الطرقات. انتم وانا. قال عادل وركض، وركض الاولاد

لكنهم يريدون قتلي. صرخ عادل

— انهم يخيفونك. قالت الراهبة، انت تخاف، هم يحبونك ويلعبون معك

— لكنهم يحملون البواريد، والبواريد مصوبة الى عيوني

قال عادل لسحر، لم ير سحر لانها لم تأت الى المقهى كما وعدت

— هذه ليست قصة ياعزيزي، تشيخوف يكتب عن رجل يستلقي على سريره،

يغمض عينيه ويموت. انا استلقي على سرير اقرأ قصة الرجل الذي يموت، اشعر بالنعاس،

اطوي الكتاب اطفئ الضوء وأنام. هذه المرة نحن لا نقرأ، الضوء ينطفئ وحده، ونحن لا

نطفئ الضوء. الكتاب سينطوي ونحن في داخله، هذه المرة مختلفة

لماذا تذهبين ياسحر، استمعي التي على الاقل، أنا لا أريد شيئا، والله لا شيء، اجلسي

فقط أمامي ودعيني اعتقد انك تستمعين، ثم لا تسمعي اذا اردت

ونحن تركض، جميع الذين يركضون ينظرون الى الخلف، كأن شيئا يتبعهم، كأن

الايدي تلاحقهم كأنهم يموتون، كلكم تشبهون الذين سيموتون، أما أنا، لولا مسألة هذا

الرجع في عيوني ولولا أني لا أرى جيدا لكنك اخبرتهم عن طفولتي وكيف ضعت عندما

كنت في الثالثة، والتقطتني الراهبة واعتقدت أني يتيم، مسحت دموعي وأخذتني، وانا اريد ان

اعود الى البيت، جاء البوليس واخذني من الدبر وضررتني، قلت له انني اريد ان اعود الى البيت

فضررتني حتى تحولت الى ما يشبه الثياب القديمة المجعلكة، واخذني الى البيت. وفي البيت

ضررتني أخي ثم ضررتني أبي ثم ضررتني أمي. ادخلوني الى الحمام وثمرت دون عشاء، لكن عيوني

تؤلمني، لا استطيع ان اخبركم كيف سقطت على الطريق وداستني السيارة بدواليبها وبقيت

قدمي تحت العجلات زمنا لا ينتهي لا استطيع ان اخبركم شيئا، ساحبوني، أفضل أن أنام،

افضل ان انسى، أفضل أن أتذكر هذه الاشياء وحيدا، افضل ان اكون وحدي اراهم، حين

أرى الايدي التي ترتجف فوق عيوني واسمعهم يقولون ان الدموع تغسل الثياب واكره دموعهم،

ثم يقولون ان الايدي التي اطلقت النار على عيوني ما تزال تركض وانا اركض، اسقط على

الارض، والارض تركض.

## 1 - الصباح

الصباح : رائحة الصباح، الاجراس، اصوات الاجراس، الضوء، الوان الضوء العيون، اوجاع العيون، العدس، الايدي، الماء

صحوت باكرا هذا الصباح، لم أر شيئا، رأيت وجهه، كان وجهه فوق وكانوا يضيئون الشموع، اشم رائحة الشموع، هذه أُمي، أُمي تضيء الشموع وتقرأ البيت برائحة البخور أريد أن انهض، لا أستطيع ان افتح عيوني، اريد عيوني، كأنهم سمروا عيوني بحبات العدس، العدس الاسود، البصل، الزيت، الزيتون، كأنهم حولوا البيت الى دكان، من يريد ان يشتري ؟ لا أحد يشتري، كلهم يبيعون ولا أحد يشتري

أقف، أنا أقف. من اين جاء الريش، أرى الدجاج، الدجاج الابيض، دجاجات تركب على دجاجات، دجاجات عمرا ميلوي، اصوات الدجاج الأحمر، اخاف من الدجاج الدجاج المذعور الذي يصدر اصواتا ويتراكب يخيفني، الريش يطير في الهواء، ريش أبيض يطير في الهواء، أمسك الريش، اضع الريش في فمي والدجاج وانا اترجع استند الى الحائط يسقط استند الى الباب ينفتح والدجاج يملأ المكان وانا أخاف لماذا لا تضيئون الضوء ؟

أنا أتسلق، أنا في أعلى الشجرة وحبات الأكدينية الصفراء تحيط بي. أجلس على القفص السميك وامرجه قدمي في القضاء، اقطف الحبات، أكلها وأرمي البزر الى الأرض، الدجاجات تترامض، أرى الدجاجة السوداء تنحني على بزر، انزلق من اعلى الشجرة، أركض وراء الدجاجة والدجاجة تركض. أمسك بها، ريش أسود يميل الى الاخضرار، أمسك منقارها بيدي ثم اتركها تنزلق على الأرض، تفرد جناحها مذعورة وتركض، القضيب في يدي، اضربها على ظهرها، اضربها على ريشها، الريش الأسود يتساقط، الدجاجة تتوقف عن الركض تنحني لضربات القضيب، الدجاجات الاخرى لا تلتفت اليها، تركض والديك الاحمر يركض خلفها وانا اضرب، الدجاجة تترنح، بطنها يلامس الأرض، اتوقف عن الضرب، انحنى فوقها، انزع بعض ريشها الاسود المخضر وهي لا تقاوم أتسلق الشجر، آكل وأرمي البزر وهي كأنها لا ترى، كأنها ماتت.

اني قال ان الدجاجة ماتت، لم يسأل من قتلها، كان لا يجرب لانها سوداء ويفضل الدجاج الابيض ويقول ان افضل انواع الديوك هي الديوك الحمراء من اين اتوا بكل هذا الدجاج الى البيت ؟

للجام متين امام المصطبة ويذبح الدجاج والدجاج يطير. الدجاج الخائف يهجم وأنا اخاف، قلت لامي ان عليها ان تضيء الضوء، قلت لها انني أكاد احتنق، لكنهم يقرعون الاجراس، الاجراس تنبض في بطني، في فخذي، في رأسي، الاجراس في عيوني، وامي تجلب

3 - تهبأ البلادُ اذ بالهر يطفحُ منها، حول ضفتيه دمٌ يتكاثفُ، ترابٌ ينهضُ، صحبٌ صفيّرٌ صحبٌ قادمٌ بلادي تعلقو هو البحرُ والبحارةُ تشرُحُ دمي البحرُ والرجالُ جسدي.  
الشموع وتلك التي اخبرتكم عنها ماذا اخبرتكم ؟ تلك ماذا قلت لها ؟ سألتها عن اسمها وجاوبتني، ماذا جاوبتني ؟ والشموع، اين الشموع ؟

هل يمكن، الكلاب تنبح، الكلب يقف على النافذة وينبح، وانا لا احب الكلاب، والشموع تحترق، والرائحة، رائحة الحريق الذي يملأ انفي وانا احترق، صرت كتلة من الحريق، قلت لأمي ان الضوء، لا لزوم للضوء، تستطيعين ان تطفئي كل شيء، تستطيعين ان تغلقي النافذة. وأن تغطيني، ارجوك ان تغطيني.

وانا انام، أنا لا افتح عيوني، عيوني لا تؤلني، عيون مغلقة، وانا لا أريد، اريد أن اعطي رأسي بالحزام الصوفي، لا أريد أن أفتح عيوني، عيوني لا تؤلني لكنني لم اعد خائف  
هل تسمعي تلك المرأة التي قال زوجها انها ماتت، انه يكذب عليها، ثم يكذب عليّ ثم يكذب عليكم، لا تصدقوه، صدقوني أنا. وأنا أيضا، ارجوكم لا تصدقوني  
أنا أيضا اشم رائحة الصباح، أرى الصباح، لا أرى شيئا، الشمس لا تشرق في الصباح، الارض لا تتدحرج، لذلك اخبركم كل شيء، لذلك أنا مستعد أن اخبركم كل شيء، ولكن ابعدوا وجه هذا الرجل عني، لحيته في صدري، ابعدوا لحيته، رائحة فمه تكاد تقتلني، ابعدوا فمه، ابعدوه، وأنا اوافق على كل شيء.

العدد القادم (25) من «الثقافة الجديدة»

ملف خاص

بالقصة القصيرة في أمريكا اللاتينية

يصدر قريبا